صفحة من تاريخ مصر القديم

الملكان زوسر وسنفرو — الآثار في سقارة والجيزة

ذكرنا في مقتطف دسمبر الماضي ما كشفهُ في سقارة المستر قُرث الذي ينقب هناك من قبل مصلحة الآثار المصرية ووصفنا الجدران المحكمة البنيان والمدافن والاعمدة المضلعة التي يرجع تاريخها الى عهد الاسرة الثالثة . ونشرنا في مقتطف مارس الماضي وصف الاكتشافات الاثرية التي كشفتها بعثة هرفرد — بوسطن شرقيّ اهرام الجيزة . وقد اتيح الآن لهذين الفريقين الكشف عن آثار أخرى على جانب كبير من الاهمية. فقد كشف المستر قرث تمثالاً للملك زوسر من الحجر الجيري ومدفناً قد يكون مدفن وزيره إمهوتب. وكشفت بعثة هارفرد — بوسطن بادارة المستر ألان رو A. Rowe عن مدفن يظن بعض علماء الآثار انهُ مدفن الملك سنفرو بانيهرم ميدوم وانهُ اذا صح ذلك كان اكتشافاً اثرياً فريداً في هذا العصر حتى لقد يفوق اكتشاف مدفن توت عنخ أمون في مقامهِ التاريخي والاثري . وسنذكر فيما يلي خلاصة ما يعرف عن هذين الملكين زوسر وسنفرو ملخصاً عن كتاب الاستاذ برستد في تاريخ مصر القديمة ثم نأتي على وصف هذه الآثار

❖ الملك زوسر ❖ هو اول ملوك الدولة الثالثة كان ملكاً عزيز الجانب جعل منف (ميت رهينة) عاصمتهُ ورفعها الى اعلى مقام من العز والمجد وعني بفنون الحرب والسلم فكان عمالهُ يستخرجون النحاس من مناجمهِ في شبه جزيرة سينا وجنودهُ تنشر لواءهُ في جنوب القطر المصري ويقال انهُ حكم القبائل الجنوبية بيد من حديد . والراجح ان فلاح هذا الملك عائدٌ الى حكمة وزيره ومستشاره إمهوتب فقد اشتهر هذا الوزير بالحكمة والطب والبناء وضرب الامثال فجُعل بعد موته وليّاً للكتبة وبقي الناس يتمثلون بامثالهِ قروناً طويلة وحُسب بعد انقضاء ٢٥٠٠ سنة المثل للطب فدعاهُ اليونان ايموثس ولم يفرقوا بينهُ وبين حكيمهم اسكليبيوس اله الطب وقد بني لهُ هيكل قرب السرابيوم (مدفن الثيران المقدسة) في سقارة

والمشهور ان الملك زوسر اول من بنى بالحجر وقد وجدت بيانٌ حجرية اقدم من زمانهِ ولكن لا ريب ان عهدهُ كان اول زمن توسع فيهِ الناس في البناء بالحجر. فقد كانت المدافن الملكية قبل حكمهِ تبنى باللبن (الطوب المجفف في الشمس) فبنى زوسر في اول حكمهِ مصطبة ضخمة في بيت خلاف قرب ابيدوس والراجح ان جثتهُ لم تدفن في مدفن هذه المصطبة. ثم شرع في بناء

مدفن كبير (موزوليوم) لم يسبقهُ اسلافهُ الى مثلهِ فبنى مصطبة في الصحراء غربيّ منف تشبهُ مصطبة بيت خلاف لكنها كانت مبنية بالحجر علوّها ٣٨ قدماً وعرضها ٢٢٧ قدماً واما طولها فلم يحقق بعدُ . ولما طال زمن حكمهِ بنى مصطبة فوقها اصغر منها وقائلها شكلاً وبناء واستمرّ على ذلك حتى بنى فوق المصطبة الاولى خمس مصاطب الثانية اصغر من الاولى والثالثة اصغر من الثانية وهلم جرًّا فنشأ من ذلك بناء مدرّج هرميّ الشكل علوهُ ١٩٥ قدماً وهو ست طبقات ويعرف الآن بهرم زوسر المدرّج وفيهِ تتمثل درجة الانتقال في البناء من المصاطب المسطحة الى الاهرام التي بناها ملوك الدولة الرابعة . وهو اول بناء حجريّ كبير في التاريخ

وسار خلفاء زوسر في اثره فكنتهم قوتهم وثروتهم من ان يبنوا مدافن ضخمة ولكن تاريخ هؤلاء الملوك لا يزال غير جليّ انما نعلم ان من مبانيهم هرميّ دهشور وهما اكبر دليل على ما بلغتهُ مصر في عهد الدولة الثالثة من المجد والغنى

❖ الملك سنفرو ❖ اما سنفرو فآخر ملوك الدولة الثالثة على قول او اول الرابعة على قول آخر كان ملكاً عظيم الشان بعيد النظر بنى سفناً كبيرة طول الواحدة منها ١٧٠ قدماً لتسير في النيل للتجارة والادارة واستمرّ في اخراج النحاس من مناجم سيناء بعد ان تغلب على القبائل المقيمة هناك وترك اثراً وُصف فيهِ تغلبهُ عليها فجعل الناس ينظرون اليهِ كاول من بسط ظل مصر على سينا وسمي احد المناجم باسمهِ . وظلّ الملوك بعد انقضاء الف وخمسمائة سنة على وفاتهِ يقيسون اعمالهم في سينا باعمالهِ فيفاخرون بانهم عملوا هناك « ما ليس لهُ مثيلٌ بعد سنفرو »

ولم يقتصر همهُ على شبه جزيرة سينا بل عني بالحدود الشرقية وقد لا نبعد كثيراً عن الصواب اذا نسبنا اليهِ بناء حصون البحيرات المرة في برزخ السويس التي كانت في عهد الدولة الخامسة . وبقي كثير من الطرق والمحطات في الدلتا الشرقية يدعى باسمهِ حتى بعد انقضاء الف وخمسمائة سنة على وفاتهِ . والراجح انهُ كان مسيطراً على احدى الواحات الشمالية . واهتم كثيراً بتنشيط التجارة مع البلدان الشمالية فارسل اسطولاً مؤلفاً من اربعين سفينة الى الشواطئ الفينيقية لتأتي بخشب الارز من لبنان . وسار على خطة زوسر مع قبائل الجنوب فحارب بلاد النوبة الشمالية وعاد منها بسبعة آلاف اسير ومائتي الف من المواشي

وبنى مدفنين الاول في ميدوم بين منف والفيوم بدأهُ مصطبة مبنية بحجر جيري كما بدأ زوسر هرمهُ المدرّج وبنى غرفة المدفن تحت المصطبة ثم بنى فوقها سبع مصاطب وملأ

الانفراج بين حافة المصطبة الواحدة وحافة المصطبة الاخرى فكان اول هرم حقيقي في التاريخ. واما الهرم الثاني في دهشور وهو اكبر من الاول وانضم منهُ وكان اعظم المباني التي بناها الفراعنة الى ذلك العهد. وهو دليل جلي على سرعة ارتقاء الفنون في عهد الاسرة الثالثة

الآثار الجديدة

❖ تمثال زوسر ❖

هذا التمثال كما وصفهُ لنا المستر فرث مكتشفهُ منحوت من حجر جيري صلب وعيناهُ كانتا من البلور . وجد في السرداب المبني قرب الجدار الشمالي من الهرم المدرَّج في سقارة وهو اقدم تمثال حجري للملك من ملوك

مصر بالحجم الطبيعي واقدم تمثال وُجد في مكانهِ الاصلي يمثل الملك لابسًا « اتيمس » اي الشعور المارية الالهية . وعايدعو الى الاستغراب طول لحيتهِ وقد كسر جانب منها . ونقش على ظرفهِ السفلي كتابة هيروغليفية معناها « ملك مصر العليا ومصر السفلى محبوب الالاهتين تترخت اي ذات الجسم الالاهي ورع نبتي اي الشمس الذهبية » . وترى صورتهُ في الصفحة المقابلة

﴿ مدفن الجيزة ﴾ في اوائل مارس وجدت رقعة من ملاط ابيض في اتجاه محور الهرم الكبير من الجهة الشرقية وعلى مائتي متر منهُ فازيلت بعناية تامة وظهر من تحتها طبقات من الحجر الجيري في قطع مستطيلة الشكل بعضها عائل بعضًا وقد وجد عند التعمق في الحفر ان هذه القطع الحجرية تسد سلمًا منحوتًا في الصخر يوصل الى بئر كانت مسدودة كذلك بقطع حجرية فرفع ما كان في اعلى هذه البئر واذا على سطحها قطع كبيرة من الصخر وضعت هناك ليظهر للرائي ان الارض لم تمس . وعلى عمق ثمانية امتار من الجهة الغربية لهذه البئر وجدت خلوة صغيرة كان مدخلها مسدودًا وكان فيها تقدمة مشتملة على رأس ثور وحافريه والتقدمة ملفوفة بحصير من القش ومعها اناءان . وعلى عمق ستة وعشرين مترًا عثر على سطح غرفة المقبرة وكانت مقفلة باحجار البئر فقط فلما ازيل بعض هذه الاحجار امكن رؤية ما في داخل الغرفة فبانت بوضوح لأول مرة في تاريخ الحفر مقبرة فاخرة من مقابر الاسرة الرابعة لم تمتد اليها يد انسان من قبل ويرجع تاريخها الى خمسة آلاف عام تقريبًا

يبلغ طول هذه الغرفة على وجه التقريب ستة امتار وعرضها اربعة وفي الجهة الشرقية منها ناووس من المرمر جميل الشكل غير مزخرف ولهُ غطاء فيهِ اربعة مقابض لا يزال في موضعهِ وقد وضع فوقهُ ما يظهر انهُ صفائح ذهبية لدعائم مظلة في نهاية بعضها قطع من النحاس وتحتها غطاء من الذهب متقن الزخرفة عليهِ كتابة هيروغليفية يرى منها جليًا بعض القاب ملكية وخاتم الملك سنفرو اول ملوك الاسرة الرابعة

ويظهر من البينات الموجودة الآن ان لهذا القبر علاقة بشخص الملك المحفور اسمهُ على هذا الغطاء ولكن لا يمكن التأكد من معرفة شخصية المدفون في هذا القبر الاَّ بعد مباحث اخرى . والغرفة ملأى بنفائس كثيرة منها اوان واقداح من المرمر وامتعة من الذهب والبرنز واشياء اخرى لا يمكن التكهن بماهيتها ولا بالغاية منها

وقد اقفل هذا المدفن الآن ويراد ان يبقى مقفلاً الى ان يعود الدكتور ريزنر رئيس البعثة من اميركا